السلسلة الماسية في نصرة الصادق الأمين....وسيرته القدسية

الحلقة (١١)

رجلٌ أصبحَ أُمّةً

بقلم

الشيخ أنيس الطائي

مقدمة لجنة البحوث والدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا بقدر ما حمده الحامدون، واشكره بعدد ما شكره العابدون واستغفره وأتوب اليه وصلى الله على نبيه الأعظم ورسوله الأكرم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

اطّلعنا على هذا البحث الذي تفضل بكتابته سماحة الشيخ أنيس الطائي (دام عزه) وما طرح فيه من خصائص ومكارم وفضائل وصفات وسمات لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، والتي كانت بطرح جيد وموضوعات متعددة مقرونة بأسانيد ومصادر متعددة. وفق الله الباحث لما فيه خدمة الإسلام ونصرة إمام الحق (عليه السلام) ورزقه شفاعة جده المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إنّ الله سميع مجيب.

يصلح هذا البحث ليكون الحلقة (١١) في السلسلة الماسية في حياة الرسول القدسية.

لجنة البحوث والدراسات

الحوزة العلمية- النجف الاشرف

الإهداء

إلى سيدي ومولاي الإمام المنتظر المهدي (عجّل الله فرجه)...

إلى مرجعي المظلوم المهضوم سماحة السيد الصرخي الحسني (دام ظله)...

إلى أبي وأمي وأخي...

إلى الأنصار الأخيار..

إلى المرابطين الثوار...

أهدي ثواب هذا الجهد البسيط ضمن (السلسلة الماسية.....) في سيرة النبي الأكرم مُحَمَّد بن عبد الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وحياته الشريفة وأخلاقه ومنهجه وجهاده... الذي كان المعيار في سيرة القائد الذي يريد رضا الربّ جلّت قدرته، وإنقاذ المجتمعات من الجهل والظلام والتسافل والغفلة، و نشر العدالة الاجتماعية وفق المنهج الإسلامي القويم.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعله في ميزان الحسنات، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه مُحَمَّد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

المقدمة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ

آل عمران/١٤٤

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وعجل فرج قائم آل محمد اَشْهَدُ اَنْ لا إِلـهَ إلاّ اللّهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ وَاَشْهَدُ اَنَّكَ رَسُولُهُ وَاَنَّكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ وَاَشْهَدُ اَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ رِسالاتِ رَبِّكَ وَنَصَحْتَ لاِمَّتِكَ وَجاهَدْتَ فِي سَبيلِ اللّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَاَدَّيْتَ الَّذى عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ وَاَنَّكَ قَدْ رَؤُفْتَ بِالْمُؤْمِنينَ وَغَلَظْتَ عَلَى الْكافِرينَ وَعَبَدْتَ اللّهَ مُخْلِصاً حَتّى أتاكَ اليَقينُ فَبَلَغَ اللّهُ بِكَ اشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمينَ اَلْحَمْدُ للّهِ الَّذِي اسْتَنْقَذَنا بِكَ مِنَ الشِّرْكِ وَالضَّلالِ اَللّـهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاجْعَلْ صَلَواتِكَ وَصَلَواتِ مَلائِكَتِكَ الْمُقَرَّبينَ وَاَنْبِيائِكَ الْمُرْسَلينَ وَعِبادِكَ الصّالِحينَ وَاَهْلِ السَّماواتِ وَالاْرَضينَ وَمَنْ سَبَّحَ لَكَ يا رَبَّ الْعالَمينَ مِنَ الاْوَّلينَ وَالاخِرينَ

عَلى مُحَمَّد عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَنَبِيِّكَ وَاَمينِكَ وَنَجيبِكَ وَحَبيبِكَ وَصَفِيِّكَ وَ صَفْوَتِكَ وَخاصَّتِكَ وَخالِصَتِكَ وَخِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ وَاَعْطِهِ الْفَضْلَ وَالْفَضيلَةَ وَالْوَسيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الرَّفيعَةَ وَابْعَثْهُ مَقاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ بِهِ الاْوَّلُونَ وَالاخِرُونَ اَللّـهُمَّ اِنَّكَ قُلْتَ وَلَوْ اَنَّهُمْ اِذْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ جاؤوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوّاباً رَحيماً اِلـهى فَقَدْ اَتَيْتُ نَبِيَّكَ مُسْتَغْفِراً تائِباً مِنْ ذُنُوبى فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاْغْفِرْها لي، يا سَيِّدَنا اَتَوَجَّهُ بِكَ وَبِاَهْلِ بَيْتِكَ اِلَى اللّهِ تَعالى رَبِّكَ وَرَبّى لِيَغْفِرَ لى اِنّا للّهِ وَاِنّا اِلَيْهِ راجِعُون اُصِبْنا بِكَ يا حَبيبَ قُلُوبِنا فَما اَعْظَمَ الْمُصيبَةَ بِكَ حَيْثُ انْقَطَعَ عَنَّا الْوَحْيُ وَحَيْثُ فَقَدْناكَ فَاِنّا للّهِ وَاِنّا اِلَيْهِ راجِعُونَ يا سَيِّدَنا يا رَسُولَ اللّهِ صَلَواتُ اللّهِ عَلَيْكَ وَعَلى آلِ بَيْتِكَ الطّاهِرينَ هذا يَوْمُ السَّبْتِ وَهُوَ يَوْمُكَ وَاَنَا فيهِ ضَيْفُكَ وَجارُكَ فَاَضِفْنى وَاجِرْنى فَاِنَّكَ كَريمٌ تُحِبُّ الضِّيافَةَ وَمَأْمُورٌ بِالاْجارَةِ فَاَضِفْني وَأَحْسِنْ ضِيافَتى وَاَجِرْنا وَاَحْسِنْ اِجارَتَنا بِمَنْزِلَةِ اللّهِ عِنْدَكَ وَعِنْدَ آلِ بَيْتِكَ وَبِمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَهُ وَبِما اسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ عِلْمِهِ فَاِنَّهُ اَكْرَمُ الاْكْرَمينَ.(1)

---

١) كتاب – مفاتيح الجنان- للشيخ عباس القمي ص١٠٦، زيارة النبي محمد

يجب على المسلمين جميعاً أن يتذكروا ويعلموا بأن الدين الإسلامي لم يصل ألينا ولم يكتمل إلا بالنبي الأمي القرشي الصادق الأمين محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) والذي ضحى بكل شيء في سبيل نصرة الدين وإنقاذ المجتمعات من ظلال وظلام الجهال والظالمين والذين سعوا في الأرض الفساد، فلابد إذا من سلامة الدين السمح الحنيفي الذي جاء به الصادق الأمين محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومن خلال الالتزام والتطبيق بما جاء من الأحكام الشريعة والأخلاق الإسلامية والتي طبقها وألتزم بها ذلك الرجل العظيم الذي قال الله تعالى عنه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم﴾ القلم/٤.

وبعد:

فقد كتبت هذا البحث بعنوان (رجل أصبح أمّة) وتطرّقت فيه إلى شرح الظروف الموضوعية لنشر الدعوة الإسلامية والمقومات التي استند إليها ذلك الدين القيّم الحنيف، وقسّمت البحث الى محاور منها:

(صلّى الله عليه وآله وسلّم).

الأول: الصراع بين الانسان والنفس الأمارة بالسوء.

الثاني: القدوة الصالحة.

الثالث: النبي الأكرم مُحَمَّد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والعرب.

الرابع: الظروف الموضوعية.

الخامس : الإنجازات.

وشرحت كلّ محور بمعزل عن باقي المحاور إبتداءاً من (الصراع بين الانسان والنفس الأمارة بالسوء) الى (الإنجازات).
وأيضا ربطت بين منهج الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وبين منهج الذين يدّعون الدين الإسلامي وقيادته وأشرت إلى حركاتهم التي لا تمتّ إلى الدين بصلة إلا في القليل القليل من جوانبها، وكذلك أشرت إلى من سار ويسير على منهج الحقّ والصدق، والذي يمثل امتداد الرسالة الإسلامية ومنهجها الإصلاحي.
نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لمراضيه ويجنّبنا معاصيه، ونسأله تعالى أن لا يحرمنا شفاعة النبي الأكرم محمد بن عبد الله

(صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

والحمد للّه ربِّ العالمين وصلّى اللّه على محمّد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وعجل فرج آل بيت محمد.

أنيس الطائي

الصراع بين الانسان والنفس الأمّارة بالسوء

لمّا هبط الانسان على هذه الأرض وأراد السير قدماً في هذه الدنيا، عصرته حاجاته وضغطت عليه رغباته وميوله التي تتناسب مع نشأته في هذه الدنيا، فألحّ عليه هواه، فأنسته الدنيا أنّه سيُقبل على يوم لا بدّ منه حيث يواجه الحساب على ما أسلف في هذه الدنيا، والحساب عسير! من طبيعة الإنسان أنّ نفسه تطلب منه وتلحّ عليه، وعدوّه الشيطان يزيّن له مطالب نفسه من اللذة والمال والسيطرة والملك والسلطان وغيرها.

والإنسان حين يريد تحصيل ما تطلبه نفسه يجد نفسه أمام طريقين: الطريق الأول الذي يرضي الله تعالى ورسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والميول الخيرة في نفسه، فيطمئن ضميره ووجدانه حين سلوكه لهذا الطريق. لكن هذا الطريق لا يوصل الى ما يرضي شهواته كلّها. أمّا الطريق الثاني فهو طريق الدنيا والشيطان والاستسلام للنفس الأمارة لبلوغ كل الشهوات وأقصاها، حتى لو تطلّبت هذه الشهوات ظلم الآخرين والتعدي عليهم وارتكاب ما حرّم الله وضرب كل القيم والأخلاق، وبأي حيلة ووسيلة. فإذا أعطى الإنسان لنفسه ما تهوى فسيغرق في المعاصي والذنوب.

فتبـدأ الصـراعات والنزاعـات داخـل الإنسـان لتقريـر مصـيره وطريقـه. ونتيجـة هـذه الصـراعات تحـدّد الطريـق الـذي سـوف يسلكه الانسان في حياته.

فيا ترى ما الذي ينبغي على الانسان المسلم الغيور أن يفعل، وهو يريد أن ينجو من التسافل والذنوب والانشغال بالدنيا وغيرها مما يبعده عن هدف خلقه؟ المسلم العاقل الرشيد يهدف إلى تحصيل رضا الله سبحانه وتعالى ورضا رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والفوز بالجنة والرضوان وسعادة الدارين وليس فقط الانشغال بالدار الدنيا، لا بل الهدف هو الدار الآخرة، إذ أن الانسان ما خُلق ألا لأجل غاية وهدف وكما قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات/٥٦. وليست العبادة كما هو معروف لدى الانسان بالصلاة فقط لا غير، بل توجد أعمال كثيرة يأتي بها الانسان قربة الى الله تعالى فتكون تلك عبادة، مثل العمل لأجل كسب لقمة العيش بالرزق الحلال وكما جاء عن النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (العبادة سبعون جزءا أفضلها جزءً طلب الحلال) [1]. إذن يوجد عبادة وعمل يقوم به الانسان من أجل إصلاح نفسه والتقرب من الله تبارك وتعالى

---

١) وسائل الشيعة /ج١٢/ ص١٣.

وهـي علـى أجـزاء وأصـناف. وعلـى الانسـان الـواعي المـؤمن أن لا يحيد عن جادة الحق والصواب الذي رسمه له اللّٰه سبحانه، وذلك بإتّبـاع الـنهج القـويم والسـلوك المسـتقيم لمـنهج الحـق والصـدق للرسول الكريم محمد بن عبد اللّٰه (صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم) والأئمة الميامين (عليهم السلام) والقادة المصلحين، لكي يكون سلوكه وعمله سائراً نحو الطريق الصحيح الذي فيه مرضاة اللّٰه تعالى. وسوف نبيّن هذا الطريق في البحث من خلال عرض السيرة والسلوك والنهج المتمثل بالنبي الأكرم والأقدس والرجل المصلح محمد بن عبد اللّٰه (صلوات اللّٰه عليه وآله) الذي جعلنا نخرج من الظـلام والضـلال الى طريـق الهدايـة والصـلاح والنـور المـبين والصراط المستقيم والنهج المستنير.

نسأل اللّٰه سبحانه التوفيق لنا جميعاً في السعي لمرضاته وكسب رضوانه، إنّه نعم المولى ونعم النصير.

القدوة الصالحة

إنّ من أهمّ العوامل التي تساعد الانسان على التكامل المعنوي - والمادي أيضا - هو وجود القدوة الصالحة. فمثلاً في مجال العلوم كثيراً ما نجد أنّ الإنسان المتعلم يضع أمامه الشخصية والقدوة الصالحة والمصلحة ويطبع صورتها في قلبه وفكره ويهدف إلى أن يكون مثلها. وطالب العلم يحلم بمقام علمي مثل مقام أرسطو وابن سينا وصدر المتألهين والشيخ الطوسي وأمثالهم. وإذا كان من طلاب العلوم الطبيعية فيكون المقام الذي يهدف إليه هو مقام نيوتن وباستور وآينشتاين وغيرهم ممن يجعلهم قدوة له. والشعراء العرب يتخذون من المتنبي والفرزدق والجواهري وأمثالهم أسوة لهم. ويمكننا أن نتصور كم يكون العمل فاتراً بدون القدوة التي تشحذ الهمّة وتعطي الطاقة المتواصلة للمقتدي وتلهمه للإستمرار في المسير طوال الوقت.

وفي مجال التكامل الأخلاقي تكون الحاجة أشدّ وآكد، لأنّها مخالفة للأهواء وتكثر فيها الأخطاء بخلاف غيرها.

والنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هو القدوة الصالحة في هذا المجال الذي أمرنا القرآن بانتهاج سيرته والاقتباس من سلوكه:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الأحزاب/٢١.

وهذه الأسوة الإلهية لا تقتصر على جانب دون آخر كما هو الحال في القدوات الأرضية، فالعلماء قد يكونون قدوة لطالبي العلم وليس كل الناس، ثم أنّهم قدوة للطلاب في مجال طلب العلم فقط، لأنّ العالم قد ينحرف في مجالات أخرى وقد يكون فاشلاً اجتماعياً أو معقّداً أو متعصباً للقومية أو جاحداً للدين وغير ذلك، وهكذا في غيره.

أمّا في النبي الكريم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فهو قدوة لجميع الناس ولمختلف الطبقات والطوائف، فهو قدوة للقادة والزعماء بحلمه وشجاعته وسرعة تدبيره..

وهو قدوة للآباء في تربية أطفالهم.. وللأزواج في تفاعلهم الأسري مع أزواجهم... وللزهاد في زهادتهم.. ولأهل العبادة في عبادتهم فقد كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه فانزل الله:

﴿ طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ طه/١-٢.

وهو (صلّى الله عليه وآله وسلّم) القدوة لقادة الجيش في إقدامه وحنكته العسكرية، ولرجال الدين في إرشاده للناس بالحكمة والموعظة ومجادلتهم بالتي هي أحسن ورفقه بالعوام والجهال وتحمله في سبيل تبليغ الدين الشدائد، ودعاؤه لقومه لا عليهم رغم إيذائهم له.

ولنا أن نقدّر الخسارة التي ألّمت بالمسيحيين حين حُرموا القدوة والنموذج بقولهم أنّ المسيح ابن الله، فكل ما صنع المسيح (عليه السلام) لا يمكن للبشر أن يقتدوا به لأنه إله وابن إله! ولذلك نجد تأكيد القرآن الكريم على بشرية الأنبياء (عليهم السلام)، لا خوفاً من عبادة البشر لهم كما يتوهم البعض، لأنّهم قُتلوا وشردوا وحوربوا ومنهم المسيح نفسه، بل ليتّخذهم البشر قدوة في الوصول إلى الله والتحلي بمكارم الأخلاق. وكذلك اليهود قد حُرموا القدوة باتّهامهم أنبياء الله (عليهم السلام) بمختلف التّهم الشنيعة التي تنفر منها الطباع وتتبرأ منها العقول. وحال سائر المذاهب الارضية ليست بأفضل من المسيحية واليهودية على مستوى فقدان القدوة الصالحة.

النبي الأكرم مُحَمَّد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والعرب

من هم العرب؟[1]

من المشهور أنّ العرب كانوا ثلاثة أقسام:

أولا: العرب البائدة: وهم ما ذكرهم القرآن الكريم والأخبار الدينية والكتب التأريخية، أمثال قوم عاد وثمود وغيرهم.

ثانيا: العرب العاربة: وهم أولاد يعرب بن قحطان ويُدعون بالقحطانية وكانوا على حضارة ومدنية عريقة.

ثالثا: العرب المستعربة: وهو سكان شمال الجزيرة أجداد الجيل العربي الذي بعث فيه النبي العربي القرشي محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

والعرب ينقسمون الى قسمين: البدو والحضر.

فالقسم الأول (البدو) وهم عبارة عن مجموعة قبائل رحل، كانت تعيش مرتحلة من مكان الى آخر، طلباً للماء والكلأ،

---

١) كتاب الأخلاق الإسلامية - للسيد علي فضل الله الحسني- دار إحياء التراث العربي - بيروت.

تتأصل فيهم عادات الوفاء والكرم والشجاعة والمروءة والنجدة والحمية وحسن الجوار، حتى كانوا يترنمون في أشعارهم بمبدأ العصبية ومن قولهم (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) وكما قيل:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

في النائبات على ما قال برهانا [1]

والقسم الثاني (الحضر) وهم الذين كانت لهم أوطان خاصة يعيشون فيها حياة مستقرة. وأعرق تلك الأوطان حضارةً اليمن المشهورة بسد مأرب الذي كان أعجوبة الفن.

ومن العرب المتحضرة سكان مشارف العراق والشام من تخوم الجزيرة العربية، كعرب لخم وغسان. فاللخميون: هم الذين يلقبون بـ (المناذرة) وعاصمتهم الحيرة، وقد بنوا القصور الضخمة أمثال الخورنق والسدير، وقد تبارى الشعراء في وصف الحيرة وملوكها.

وقد كان حال العرب وقريش ومكة المكرمة قبل الإسلام هو الصراع والغزوات المستمرة والقتل والنهب والسلب والاستكبار للذين يسمون أنفسهم أشراف العرب. نعم يوجد أشراف وسادة

---

١) الشاعر قريط ابن انيف من بني العنبر.

العرب ولكن من أين؟ هم الموحّدون أسلاف محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) الذين يمثلون التوحيد والدين الإسلامي صدقاً وعدلاً. وهم الذين حافظوا على خطّ التوحيد وعبادة الواحد الأحد و هم الذين استمروا يعملون بكل الطاقات والقوة لكي ينصروا الدين الإسلامي المحمدي الأصيل، أمثال كفيل الرسول الكريم محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) جده عبد المطلب وعمه أبو طالب (رضوان الله عليهم).

وفي المقابل يوجد الذين يسعون الى الخراب والدمار والنهب والسلب والقتل والتشريد، وهم موجودون في كل زمان ومكان منذ زمن الأنبياء (عليهم السلام) الى ظهور القائم المنتظر المهدي الموعود (عجّل الله فرجه).

هؤلاء دائماً وأبداً يكونون أصحاب الوجاهة والأموال والمتسلطين، ويدعمهم ويروّج لهم أصحاب السلاطين ووعاظهم، وهم دائماً يدورون نحو محور واحد وديدن واحد وذلك لأن العنصر المشترك بينهم هو (محاربة الرجال المصلحين والقدوة الصالحة) وذلك يرجع الى أن الرجال المصلحين يدافعون عن حقوق المجتمع أجمع ويستشهدون في سبيل نيل رضا الباري عز وجل والسير قدماً نحو الكمال والرقي بذلك المجتمع، وهذا

يصطدم بالطرف الآخر الذي ريد الاستئثار بالتسلط على المجتمع وتقييده.

والآن يتوجب علينا أن نتعرف إلى القدوة الصالحة والدور الذي قام به ذلك الرجل المصلح فنبتدأ الكلام بهويته الشخصية:-

الاسم: محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

اللقب: رسول اللّه، المصطفى، الصادق، الأمين، النبي الأمي، القرشي، الهاشمي، العربي، التهامي، المكي، المدني، الخاتم، الأعظم، الأكرم، الأطهر، الأقدس، الأنور.

الكنية: أبو القاسم.

الأب والجد: عبد اللّه بن عبد المطلب.

الأم: آمنة بنت وهب.

الكفيل: جدّه عبد المطلب ثم عمه أبو طالب.

الزوجة: خديجة ومن بعدها عدّة نساء.

أولاده: القاسم وفاطمة من خديجة، وإبراهيم من مارية (وأما رقية وأم كلثوم فهما ربائبه كما يقتضيه التحقيق).[1]

زمان الولادة: عام الفيل المصادف ٥٧٠م.

---

١) بنات النبي أم ربائبه – العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي- الفصل السادس- صفحة ٩٨.

مكان الولادة: مكة المكرمة.

المرضعة: حليمة السعدية.

رسالته: الإسلام.

كتابه ومعجزته: القرآن الكريم.

صهره ووصيه: ابن عمه علي بن أبي طالب (عليه السلام).

عمره الشريف: ٦٣.

وفاته: ١١ للهجرة.

مرقده الشريف: المسجد النبوي في المدينة المنورة.

فهذه من الأنوار القدسية لهويته الشخصية (صلّى الله عليه وآله وسلّم) التي نقف الى كل حرفاً منها وقفات وتأملات وكتابات ومجلدات وذلك للحديث عن الدور الذي قام به النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والأدوار التي قام بها الذين ناصروه ووقفوا إلى جانبه في واجبه إلى أن أدّى رسالته السماوية القدسية.

الظروف الموضوعية

هناك عدة عوامل وظروف موضوعية متشابكة ساعدت على نمو وانتشار الإسلام، وأعانت النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على نشر دعوته وتحكيم دولته وهي:

الأول: الموقع الجغرافي:

فمن جهة كانت مكة المكرمة المدينة المقدسة لدى القبائل العربية وذلك لوجود البيت العتيق، فكانوا يحجون كل سنة اليه وكان النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يتصل بالعرب كافة.

الثاني: حماية عبد المطلب وأبي طالب له:

ويكفي أن نقول أن المشركين لم يُقْدِموا على قتل النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قبيل الهجرة وملاحقته الى الغار لقتله إلا بعد موت أبي طالب (رضوان الله عليه)، فقد عانى النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأصحابه من أولئك القوم أشدّ

العذاب والتنكيل حتى أستشهد منهم ياسر وسمية، وهاجر المسلمون الى الحبشة فراراً من إرهاب قريش وبطشهم.

الثالث: زوجته خديجة:

فقد كانت نعم الزوجة الصالحة والصادقة التي أعانت زوجها وجاهدت بأموالها ونفسها فداء للدين الإسلامي المحمدي الأصيل الى أن كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يذكر لها ذلك حتى آخر أيامه حياته الشريفة ويقول: ((ما أبدلني الله عزّ وجلّ خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزّ وجلّ ولدها إذ حرمني أولاد النساء)).[1]

الرابع: سيف الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام):

كان الإمام علي (عليه السلام) السبّاق في الدفاع والقتال والمبيت والانتصار على القوم الظالمين حتى آخر العمر من قبل الإمام علي (عليه السلام) وفي معارك بدر وأُحُد والأحزاب وخيبر وعشرات

---

١) مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل - ج ٦ - ص ١١٨.

المعارك غيرها. وقد كان سيف علي (عليه السلام) دائماً هو الفاصل والكلمة الحق والذي كان يقلب الموازين ويغيّر المعادلات لصالح نبي الرحمة محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، حتى أن قيل (لولا سيف علي وأموال خديجة لما قامت للإسلام قائمة).

الخامس: الوحي والقرآن:

القرآن الكريم هو الثقل الأكبر ومعجزته الخالدة طوال الدهر، فقد كان للنبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) السند والنور المبين المستبين الذي يردّ الأباطيل ويدحض الأقاويل ويدحر القوم الضالين المضلين، حتى قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: {لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً} الفرقان/٣٢.

((ولم يكن تثبيتاً لقلب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وتسكيناً له عند الملمّات فحسب، بل تثبيتاً لقلوب المسلمين في كل حادثة وداهية بما يذكرهم به من عبر ومواعظ ودروس من الأُمم الغابرة وبشائر بمستقبل مشرق وأمثال ذلك، وليس فقط تثبيتاً لقلوب المسلمين في ذلك الزمان، بل في كل زمان نجد أنّ

القرآن هو الحافظ للرسالة من الضياع والإندثار بضميمة الإمام من أهل البيت (عليهم السلام) لقول الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم): «لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»)) [1].

---

١) السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي، ص٤٤.

الإنجازات

لا يمكن حصر الانجازات التي قام بها النبي الأكرم محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في مختلف مجالات بناء الإنسان والمجتمع والأخذ به في درجات الترقي والسمو والتكامل. لقد وقفت العقول منبهرة والأقوام صامتة منذهلة من تلك الإنجازات التي ما زال أثرها واضحاً إلى زماننا هذا. وحريّ بالمسلم أن يسير على نهج وأخلاق نبيه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كي يحصل على الرفعة في الدنيا والآخرة، ولكي يكون زيناً له ولأهل بيته (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كما جاء عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام): (كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً علينا)[1]، كي يكون مثالاً حيّاً لما حقّقه النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في تغيير الناس و بناء شخصياتهم.

ونذكر من هذه الإنجازات:

١) الانتصار - العاملي - ج ٩ - ص ٤١٠.

أ – إتمام مكارم الأخلاق:

((إنّما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق)) [1] هـذا هـو شـعار الـنبي محمـد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) في المجتمع القرشي وبقية المجتمعات الأخرى، وذلك لأن الانسان الذي يمتلك الأخلاق الحسنة ويقـول ما يفعل ويطبقه بأتمّ وجه، يستطيع كسب الغير من خلال الخلق الحسن والأخلاق الحميدة.

ومما جاء في مكارم الأخلاق عن النبي محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) أنه لما أتى المسلمون بسبايا طي كانت من بينهم جارية حسناء جزلة فقالت: يا محمد، إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإنّي ابنة سرة قومي، وكان أبي يفك العاني ويعطي الفاني ويحمي الذمار ويقري الضيف ويشبع الجائع ويكسب المعدم ويفرج عن المكروب، أنا ابنة حاتم طي. فقال: خلوا عنها، فإنّ أباها كان يحبّ مكارم الأخلاق واللّه يحب مكارم الأخلاق. فقام أبو بردة فقال: يا رسول اللّه، اللّه يحب

---

٢) مكارم الأخلاق - الشيخ الطبرسي - ص ٨.

مكارم الأخلاق؟ فقال النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم): يا أبا بردة لا يدخل أحد الجنة إلا بحسن الخلق. (١)

وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش، ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي فلا يؤيس منه، ولا يخيب فيه مؤمليه، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء – والاكثار – ومما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره، ولا يطلب عورة، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه.

عن أنس بن مالك قال: (خدمت النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) تسع سنين، فما أعلمه قال لي قط: هلا فعلت كذا وكذا؟ ولا عاب علي شيئاً قط)(٢).

وعنه أيضا: (صحبت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عشر سنين، وشممت العطر كله، فلم أشم نكهة أطيب من نكهة رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم، إذا لقيه أحد من

---

١) مشكاة الأنوار/ ٣:.١٣٤

٢) مسند احمد - الإمام احمد بن حنبل - ج ٣ - ص ١٠٠

أصحابه فقام معه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتناول يده ناولها إياه فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه[١]. وما أخرج ركبتيه بين جليس له قط[٢]، وما قعد الى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) رجل قط فقام حتى يقوم[٣].

وروي عن النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنه قال:

(أعطوا المجالس حقها، قيل: وما حقها؟ قال: غضوا أبصاركم، وردوا السلام، وأرشدوا الأعمى، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر)[٤].

وللعلاّمة الطباطبائي تحقيق جميل في مجال مساهمة القرآن الكريم خاصة في صياغة الفعل الأخلاقي وبيان الطريق إلى تهذيب الأخلاق واكتساب الفضائل والابتعاد عن الرذائل، حيث ذكر في "الميزان" ثلاثة مسالك لتحقيق هذه الغاية ونذكرها باختصار:

---

[١] الطبقات الكبرى - محمد بن سعد - ج ١ - ص ٣٧٨.
[٢] بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٦ - ص ٢٣٠.
[٣] مكارم الأخلاق - الشيخ الطبرسي - ص ١٧.
[٤] بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٦ - ص ٢٤١.

«المسلك الأول»: تهذيبها بالغايات الصالحة الدنيوية كما يقال: إنّ العفّة وقناعة الإنسان بما عنده والكفّ عمّا عند الناس توجب العزّة والعظمة في أعين الناس، وأنّ الشره يوجب الخصاصة والفقر، وأنّ الطمع يوجب ذلّة النفس المنيعة، وأنّ العلم يوجب إقبال العامة والعزّة الوجاهة والأُنس عند الخاصة وهكذا. وهذا المسلك هو المأثور عند الأقدمين من اليونان ولم يستعمل القرآن هذا المسلك إلاّ نادراً مثل قوله تعالى: {وَأَطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} الأنفال/٤٦.

وقوله تعالى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} الشورى/٤٣.

"المسلك الثاني": الغايات الأُخروية، وقد كثر ذكرها في كلامه تعالى كقوله: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} التوبة/١١١.

وقوله تعالى: {إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} إبراهيم/٢٢.

وهـذا المسـلك في إصـلاح الأخـلاق طريقـة الأنبيـاء، ومنـه شـيء كثير بالقرآن الكريم وفيما ينقل إلينا من الكتب السماوية.

وها هنا مسلك ثالث مخصوص بالقرآن الكريم لا يوجد شيء في غيره ممّا نقل إلينا من الكتب السماوية وتعاليم الأنبياء الماضين سلام الله عليهم أجمعين ولا في المعارف المأثورة من الحكماء الإلهيين، وهو تربية الإنسان وصفاً وعلماً باستعمال علوم ومعارف لا يبقى معها موضوع للرذائل، وبعبارة أخرى: إزالة الأوصاف الرذيلة بالرفع لا بالدفع، وبذلك كما أنّ كل فعل يراد به غير الله سبحانه فالغاية المطلوبة منه إمّا عزّة في المطلوب يطمع فيها، أو قوة يخاف منها ويحذر عنها، لكن الله سبحانه يقول: {إِنَّ الْعِزَّةَ للّهِ جَمِيعاً} يونس/٦٥. ويقول: {أَنَّ الْقُوَّةَ للّهِ جَمِيعاً} البقرة/١٦٥، والتحقيق بهذا العلم الحق لا يبقي موضوعاً لرياء ولا سمعة ولا خوف من غير الله ولا كل ذميمة وصفاً أو فعلاً عن الإنسان وتحليان نفسه بحلية ما يقابلها من الصفات الكريمة الإلهيّة من التقوى بالله والتعزز بالله وغيرها.

ب ـ توحيد القبائل والشعوب:

كانت القبائل العربية الموجودة قبل الإسلام في احتدام ونزاع مستمر، تحكمها النعرات العرقية والحروب التي كانت تحصل في سبيل الغزو والسيطرة فكانت الحروب الطاحنة تأتي على الأخضر واليابس ولا ترحم صغيراً ولا كبيراً ولا رجلاً ولا امرأة فقد كانت الحروب تستمر سنوات عديدة من القتال والغزو، فكيف نتصور توحيد القبائل والإصلاح بينهما وترك كل الأمور التي تسببت بقتل الحرث النسل لسنين متطاولة؟

يوجد كلام لصاحب كتاب (منهاج الرسل) يفسر فيه ذلك الجهد في توحيد القبائل ويبرهن على أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قام بتوحيد القبائل وترك الخلافات، فيقول:

(ولا تتصور أنّ ما قام به الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من توحيد القبائل المتباغضة قد يضارعه توحيد آخر مسطور في تراجم العظماء من رجال التاريخ... فليس هو كالتوحيد الإجباري وبقوة السيف كما حصل في الاتحاد السوفيتي المنصرم، أو كما أراد هتلر أن يعمل على تحقيقه في أوربا الذي سرعان ما انهدم على رؤوس أصحابه.

وليس كالتوحيد العرقي الذي وحّد أُمة اليهود مدى قرون مديدة، إلاّ أنّه فصلها عن بقية الأُمم وزرع فيهم روح الأنانية البغيضة والغرور الأحمق، وليس هو توحيداً اطماعياً كتوحّد السباع على فريسة، أو تآلف الدول الغربية على الأُمة الإسلامية، أو اتفاق القبائل المغولية على نهب الحضارة الإسلامية، إنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حينما بشّرهم بها في الخندق سخر منه المنافقون واستغرب من كلامه المسلمون).

فلابد إذن لكل رجل مصلح وقائد صالح أن يوحّد بين أبناء شعبه وجماعته ويتّخذ من منهاج الرسل والأنبياء (عليهم السلام) وآخرهم النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قدوة ومنهجا في ذلك.

وها هو القران كتاب الله يصرح بآياته الشريفة على الصلح وعدم التفرقة، فقد قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز:
{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيئاً...} آل عمران/٦٤.

فإن لم تتحقق الوحدة بذلك المعنى السامي والدرجة الرفيعة فلا أقل من الصلح (وَالصُّلْحُ خَيْر)، كما صنع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مع المشركين في صلح الحديبية والنصارى من أهالي نجران، وإن لم يتحقق ذلك أيضاً فلا أقل من الهدنة كما أقرّها مع يهود المدينة على (أن لا يعتدي أحد الطرفين على الآخر).

وأوّل توحيد أسسه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على المستوى الجماعي والقَبَلي هو ما كان بين الأوس والخزرج في المدينة المنورة بعد أن أنهكها النزاع والقتال والآخر ما كان بين المهاجرين والأنصار في المدينة أيضاً، حتى أنّ الرجل من الأنصار كان يقسم ماله وأرضه وبيته ويعطيه إلى الرجل المهاجر دون مقابل، والأهم من ذلك أنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وضع الأُسس للوحدة الإنسانية من الخالق الواحد والمساواة والهدف المشترك وهي رضا الله تعالى، والطريق العملي إلى ذلك من خدمة الناس وأنّ "خير الناس من نفع الناس" دون التحديد بفئة أو عرف أو قوم أو لون، ولهذا فشل بنو اُمية في محاولتهم تغيير مسير

الأُمة وجعلها سلطنة أموية، وفشل الاستعمار وعمّاله في التركيز على عروبة الإسلام وعربية الفتوحات الإسلامية لفصل الأكثرية المسلمة من غير العرب عن الإسلام والعرب، وفشل دعاة المذاهب المضادة للوحدة من قبيل البابية والبهائية والوهابية وغيرها في جرّ المسلمين إلى معارك داخلية وإقامة سواتر وأسوار بين المسلمين، ولم يتبعهم إلاّ من شذّ سلوكه ومرض قلبه وضعف إيمانه وأفلس جيبه، وظل المسلمون جميعاً ينظرون إليهم نظرة الاحتقار والاشمئزاز، وبقيت قلوب أكثر من مليار نسمة تحنّ إلى الوحدة وتدعو إلى التآلف رغم الحدود المصطنعة والعوائق الاستعمارية، بل ظلّ المسلمون يشعرون بالاخوّة والعاطفة الإنسانية مع غير المسلمين وخاصة المحرومين والمستضعفين من شعوب العالم ويقفوا معهم في المطالبة بحقوقهم.

ج – بناء الدولة الإسلامية:

بعد أن عرفنا أنّ القائد أو القدوة الصالحة المتمثلة برسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) قد وحّد بين القبائل والأقوام، وأنّ الدين الإسلامي ورسالة السماء التي جاء بها الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) هي رسالة تهدف الى بناء علاقة العبد بربه وعلاقة الانسان بأخيه الانسان ومشاركته في الأفراح وكذلك الأحزان والتألم لألم الناس والسعي لمساعدتهم قدر المستطاع والإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر....

فيأتي الكلام إن شاء اللّه على ما بعد تلك المرحلة التي قام بها رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم) والتي ذكرناها في النقطة الثانية من (توحيد القبائل والشعوب)، فهذه المرحلة تتمثل بالبناء والتشكيل والقيادة.

وهذه المرحلة صعبة في التشكيل والتوحد بيد القائد والقدوة الصالحة، فإنّ العرب كانوا قبائل متناحرة ولا يقبلون الرضوخ إلى أيّ أحد، وكل قبيلة لها العرف العشائري القبلي (السنينة العشائرية) وكل قبيلة لها قوانينها الوضعية.... فالصعوبة تكمن

في مواجهه كل تلك الدويلات الصغيرة وعاداتها وتقاليدها ، بدلاً من مواجهة دولة واحدة.

وكل دولة تعتمد على أركان ثلاثة هي: القائد ، والقانون، والجيش.

فالقائد: هو رسول الله محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حامل رسالة السماء والمؤيد بالملائكة والمعصوم من الخطأ والزلل والغفلة والنسيان....

والقانون: هو القرآن الكريم المنزل من السماء لأجل الإصلاح والإنقاذ من كل شيء يضر المجتمعات بل يعمل على أصلاح ما أفسده المفسدون ويعطي الحلول والنتائج السليمة ويسير الحياة ويعم الأمن والآمان والسلام ....، ولكن إذا عمل به من وجبت له القيادة والتقليد والإتباع.

أمّا الجيش: فهو كل الشعب وجميع المتعطشين لنيل درجة الشهادة والجنة ، وهذا الجيش بهذه المعنويات العالية مزوّد بقوة سماوية ومعنوية يفتقدها الطرف المقابل، مضافاً إلى القيادة العسكرية المحنّكة والرائعة لقائد القوات المسلحة وهو الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الذي تجلى ذكاؤه الميداني

العديم النظير في بدر وأحد والخندق وامثالها حيث كان لقيادة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) العسكريّة الدور الأكبر في دحر الأعداء الأكثر عدداً وعدّة.

وقد ذكر صاحب كتاب (منهاج الرسل)، كلاماً بخصوص تشكيل الدولة وهو:

(ولكن هذا العمل العظيم «تشكيل الدولة» تحول في العصور المتأخرة إلى عنصر سلبي في الذهنية المسلمة بسبب سوء فهم الإسلاميين لهذا المشروع السياسي للنبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حيث تصوروا أنّ تشكيل الدولة من قبل النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يمثّل شعيرة دينية تتصّل بمباديء الدين وأنّ مشروعية حكومة النبي تستمد مقوماتها من السماء والوحي الإلهي، أي أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد جمع لنفسه السلطة الدينية والزمنية بأمر من الله تعالى، والحال أنّ هذا المعنى لا يقوم على أساس متين من الأدلة العقلية والنقلية، فالنبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان نبيّاً فقط في مكة المكرمة وطيلة ١٣ سنة من تبليغ الرسالة في

مكة، ولما هاجر إلى المدينة وبايعه الأنصار وفوّضوا إليه زمام الأمور صار نبيّاً وحاكماً، أي جمع لسلطته الدينية، سلطة دنيوية أيضاً، فكانت نبوته سماوية وحكومته أرضية، بمعنى أنّ نبوته تستمد مشروعيتها من اصطفائه بالرسالة، بينما تستمد حكومته مشروعيتها من الناس ومن خلال بيعتهم وانتخابهم له لهذا المقام.) انتهى كلام صاحب (منهاج الرسل).

والعجب كل العجب من الأحداث التي تحصل في عراقنا الحبيب ومجريات الأمور الغريبة التي تفتك بأبناء شعبنا بمختلف طوائفه، فأين تشكيل الدولة؟ وأين من يشكّل الدولة بحسب القانون الإلهي القدسي الكريم؟ فلابد لرجال الدين والسياسيين أن يتّخذوا من تلك المسيرة النبوية الشريفة عِبرة وعِظة ودرساً على منهج وفكر وطريق الإصلاح المحمدي الأصيل.

د- الإيمان بالعقل والدعوة لطلب العلم:

قال الإمام الكاظم (عليه السلام): «إنّ لله على النّاس حجّتين: حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمّة (عليهم السلام) وأمّا الباطنة فالعقول»[1].

إن الآيات الشريفة والروايات والأحاديث الشريفة كلها كانت لها الخاصية على دور العقل والعمل من أجل الرقي والكمال، فالأمة الإسلامية بل وسائر الأمم الأخرى من الشعوب كانت تتباهى بالعالم والمفكرين ومشاهير أصحاب العلوم، وهذا طبعاً من خلال الإنجازات التي يقدمها ذلك العالم الذي يقدم خدمة لشعبه وبلده ودولته.

فبالعقل والتعلم وطلب العلم يكون الفرد قد حصل على نتاجات فكرية ذات قيمة عظيمة أمثال (أبن سينا والرازي وأديسن وأنشتاين وأرسطوا وفيلسوف القرن العشرين السيد الشهيد

---

١) أصول الكافي/ ج ١/ ص ١٦.

محمد باقر الصدر). فكل جيل له الرجل العظيم وكل مرحلة لها دورها الخاص وكل علم له رجاله أيضا ، فبعض العلماء والمفكرين كان لهم الاختصاص في الطب والبعض الآخر في الفلسفة والبعض الآخر في النحو والبعض الآخر في الكهرباء والبعض الآخر في العلوم الدينية.

وكما جاء في الأحاديث الشريفة بان أشرف العلوم وأكمل العلوم هي العلوم الدينية وذلك من حيث أن العلوم هي التي توصلنا الى الطريق المعبد الصحيح والذي فيه رضوان الله وتوفيقه، وذلك طبعاً بتطبيقها وترجمتها الأقوال والإرشادات بالأفعال من مكارم الأخلاق ومحمودها كتقديم المساعدة والغوث للمحتاج والإيثار والتضحية وغيرها. والعالم هو أوّل من يسبق إلى إنجاز هذه الأمور وتقديمها إلى غيره وخير شاهد على ذلك الأمر ما قام به فيلسوف القرن العشرين سماحة السيد الشهيد آية الله العظمى محمد باقر الصدر (قدست نفسه الزكية).فقد قدم للأمة الإسلامية خير عطاء وزاد وفي مختلف المجالات وليس فقط في الجانب الديني بل في كافة العلوم، ففي

الأصـول والفقـه والفلسـفة والاقتصـاد والسياسـة والاجتمـاع والتـاريخ...وغير ذلـك مـن إسـهامات أغنـت مختلـف المجتمعـات والقوميات والأديان لاحتوائها على الأطروحات والآراء والمنهجيـة الصحيحة السليمة المستوحاة من القرآن وعلوم محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين). وكـذلك هـي إنجـازات كـلّ مـن سار على هذا الخط الإسلامي المحمدي الأصيل.

فالعقـل ودوره في الحيـاة الـدنيا لابـد مـن لـه حجـة شـرعية دامغـة يـدافع عنهـا ويصـلح بهـا نفسـه ويصـلح الآخـرين الـذين سـلكوا الطريق الغير صحيح والغير سليم والذي يوصل صاحبه وصـاحب من أتبعه بالدرجة الأولى الى طريق مظلم وعر فيه اعوجاج ونار في الآخرة (نستجير بالله) وذلك بالتمسك الأعمى وعدم قبول الدليل الشرعي العلمـي الأخلاقـي المحمـدي الأصيل والـذي يمثل مـنهج وسلوك وطريق محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين).

هـ- العدالة الاجتماعية:

لقد ذكر صاحب كتاب (منهاج الرسل) السيد أحمد القبنجي موضوعاً متميزاً في هذا الجانب بخصوص العدالة الاجتماعية في نظر الإسلام دون غيره من القوميات والأديان، ومتسلسل في ذكر الشواهد والأدلة حيث قال (إن أعظم إنجاز للنبي الكريم في الجانب الاجتماعي هو تحقيق العدالة الاجتماعية، وهي عملية متشابكة من المفاهيم والروابط والحقوق بين أفراد المجتمع ليس من السهل تنسيقها بحيث تسود العدالة في جميع طبقات وشرائح المجتمع، ولابدّ من ظالم ومظلوم، وقوي وضعيف، وشريف ودنيء في كل المجتمعات والحضارات البشرية، فإمّا أن تميل الكفة لصالح المترفين ضد الفقراء كما في المجتمعات الرأسمالية.

أو للعمال والبروليتاريين ضدّ البرجوازيين كما في الشيوعية...

أو يكون الحق في جانب الحاكم ضد المحكوم كما في المجتمعات الديكتاتورية والملكية المطلقة..

أو لصالح طبقة الأشراف ضد الرعاع كما في الجاهلية والرومان..

أو طبقة رجال الدين ضد العوام كما في الهند وأوربا المسيحية في العصور الوسطى..

أو لصالح الرجل الأبيض ضد الأسود كما في جنوب أفريقيا والغرب في عصر الاستعمار.

أو تسير القوانين إلى جانب الرجل وتترك المرأة وتظلمها، أو تغض النظر عن انتهاك حقوقها من قبل الجنس الأقوى كما هو الحال في أغلب عصور التاريخ. ففي بعض الشعوب تحرق المرأة عند موت زوجها وتدفن معه كما في العقائد والتقاليد الهندية، أو تدفن البنت وهي حية لجريمة أنها أنثى كما في الجاهلية، أو تجبرها الظروف المعيشية على البغاء وبيع الشرف كما في اغلب المجتمعات الحديثة.

وهكذا لا نجد مجتمعاً سادت أو تسود فيه العدالة الاجتماعية إلاّ ما كان في المجتمع الذي أسسه النبي الكريم في صدر الإسلام، والناس أمام القانون كأسنان المشط ولا فرق في

الحقوق والواجبات والخدمات التي تتكفلها الدولة بين الأبيض والأسود والشريف والدنيء والرجل والمرأة والصغير والكبير، وأعظم ما يكون من إجحاف في المجتمعات البشرية هي ما يكون بين الحاكم والمحكوم والملك والرعية، وهنا ضرب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في آخر أيّام حياته مثلاً أعلى ودرساً لا ينسى في العدالة الاجتماعية بين الحاكم والمحكوم عندما وقف بعد الصلاة ليودّع الناس فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «...فأنشدكم الله أي رجل كانت له قِبل محمّد مظلمة إلاّ قام، فالقصاص في دار الدنيا أحب إليَّ من القصاص في دار الآخرة على رؤوس الملائكة والأنبياء»، فقام إليه رجل، وكان من أمر الاقتصاص من النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ما كان...» (انتهى).

وكيف وهو النبي العربي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، والذي كان نعم الأب الحنون والرجل الكريم وصاحب الخلق العظيم حتى قيل في بعض الكتب المعتبرة (بأن النبي يتألم لألم المؤمن ويصيبه الحزن والأسى ...) وذلك لأنه نبي الأمة في حياته وبعد مماته...، فكيف لا يحصل

ذلك وهو الشفيع والرحمة ملأت قلبه وهو حبيب الله. وكان كل همه أن يساعد الناس وخصوصا الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل الذين فقدوا الأب والابن والجد والعم والأهل والعيال...، فكان يحمل روح الأبوة والأخوة والحنان والرحمة ومخافة الله والدعوة الى أعدائه بالإصلاح والسير في مرضاة الله تعالى.

ونتعجب في هذه الأيام من رجال الدين ومن يمثل ظاهراً القيادة للمسلمين وفي جميع الأطياف عامة، حيث ابتعدوا كل البعد عن النهج والطريق القويم لرسول الله الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بل أكثر من ذلك فعلوا فأخذوا بظلم الناس المستضعفين وتدميرهم ومحاربتهم وحتى يصل الأمر الى القتل والتشريد والسجن في غياهب السجون والمطامير...، وذلك لأنهم (أي المستضعفين في الأرض) لم يسيروا معهم ولم يكونوا جنودا لهم في فسادهم وأفعالهم الشنيعة التي تصب في مخالفة الإسلام ودين الحق ومنهج الرسول الكريم محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأهل بيته الكرام (عليهم السلام).

وهذا العراق بلد الأنبياء وشعب الأوصياء قد مرت عليه ويلات وويلات، ونزل به البلاء تلو البلاء، وتحكمت به خطط

الغاصبين والمنتفعين وتجار الحرب والأحزاب الموالية لبلاد الجوار و المحتلين. ومع كل ذلك تبقى المؤسسات الدينية ورجال الدين عاجزين عن إيجاد الحلول والتصدي بوجه كل هذه الموجات التي عصفت بالبلاد.

والله يتم نوره ولو كره المشركون والمنافقون والكافرون، حتى يقتص من الذين ظلموا في البلاد وسعوا في الأرض الفساد...، فنسال الله السداد والفرج والأمن والآمان في بلادنا الحبيبة وشعبنا الصابر الذي تحمل ويتحمل الظلم وبلا معين وبلا ناصر غير الله تعالى والعالم العامل ورجال الحق والصدق الذين لا يخافون لومة لائم ولا يهدأ لهم بال إلا إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فهذه سنة الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) وديدن العلماء العاملين الربانيين.

مصادر الكتاب

١- كتاب – مفاتيح الجنان- للشيخ عباس القمي زيارة النبي محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلّم).

٢- كتاب منهاج الرسل – تأليف أحمد القبانجي.

٣- كتاب الأخلاق الإسلامية- للسيد علي فضل اللّه الحسني- دار إحياء التراث العربي – بيروت-

٤- بنات النبي أم ربائبه – العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي.

٥- الاستيعاب: باب حياة خديجة

٦- السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي.

٧- الطبرسي عن كتاب – مكارم الأخلاق.

٨- الطباطبائي – تفسير الميزان.

٩- بحار الأنوار الجزء٢.

١٠- أصول الكافي جزء ١.

الفهرس

مقدمة لجنة البحوث والدراسات .... - ٣ -
الإهداء .... - ٤ -
المقدمة .... - ٥ -
الصراع بين الانسان والنفس الأمّارة بالسوء .... - ١٠ -
القدوة الصالحة .... - ١٣ -
النبي الأكرم محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والعرب .... - ١٦ -
الظروف الموضوعية .... - ٢١ -
الأول: الموقع الجغرافي: .... - ٢١ -
الثاني: حماية عبد المطلب وأبي طالب له:............................ - ٢١ -
الثالث: زوجته خديجة: .... - ٢٢ -
الرابع: سيف الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ..... - ٢٢ -
الخامس: الوحي والقرآن:... - ٢٣ -
الانـجــازات... - ٢٥ -
أ - إتمام مكارم الأخلاق:.. - ٢٦ -
ب - توحيد القبائل والشعوب:.. - ٣١ -
جـ - بناء الدولة الإسلامية: .... - ٣٥ -
د- الإيمان بالعقل والدعوة لطلب العلم: .... - ٣٩ -
هـ- العدالة الاجتماعية:.. - ٤٢ -
مصادر الكتاب.. - ٤٧ -

طبع بموافقة المركز الإعلامي لمكتب
سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى
السيد الصرخي الحسني (دام ظله)

www.al-hasany.com□
www.facebook/alsrkhy.alhasany
www.twitter.com/AnsrIraq

www.al-hasany.net
E-mail: info@al-hasany.net

كل الحقوق محفوظة